Print ISSN: 2008 - 7217
Online ISSN: 2383 - 2681
Journal of Arabic Language & Literature
www.jall.um.ac.ir

Journal of Arabic Language & Literature, Vol.15, No.1 Serial Number. 32

Vocal intonation and its moral impact in the Holy Qur'an (Misconceptions as a model)

Doi:10.22067/jallv15.i1.2206-1148

Usama Alsahlani
PhD in Arabic Language & literature' Ferdowsi University of Mashhad, Mashhad, Iran

Ahmadreza Heidaryan Shahri[1]
Associate Professor in Arabic Language and Literature, Ferdowsi University of Mashhad, Mashhad, Iran

Amal El Haimeur
Assistant Professor in African and American Studies and Coordinator of the Arabic Language Program at the University of Kansas, Usa

Received: 13 June 2022 ▌Received in revised form: 9 August 2022 ▌Accepted:3 October 2023

Abstract

The study aims to clarify vocal intonation and address some misconceptions mentioned in the Holy Qur'ana It emphasizes the importance of understanding phonemes as phonemic units and knowing how to deal with them. The study highlights the significance of phonemes, intonation, and their moral importance in differentiating sentences and giving them various connotations through pronunciation.The study focuses on vocabulary related to arrogance and hypocrisy. It also explores questions regarding the concept of phonemes, their impact on sound, and the moral significance of misconceptions in the Holy Qur'an.One of the study's findings is that phonemes play a crucial role in linguistic thinking and have a significant impact on letters or movements. Intonation, on the other hand, has a profound influence on determining connotations such as reprimand, warning, and report. The study also reveals that intonation serves an expressive function by conveying feelings and emotions such as sadness, joy, despair, hope, etc.

Keywords: phoneme, intonation, false appearances.

[1]. Corresponding author: heidaryan@um.ac.ir

اللّغة العربية وآدابها (الفصلية العلمية المحكمة)
www.jall.um.ac.ir
الترقيم الدولي الموحد للطباعة: 7217 – 2008
الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: 2681 – 2383

اللّغة العربية وآدابها، السنة الخامسة عشرة، العدد ١ (الرقم المسلسل ٣٢)، ربيع ١٤٤٤، صص:١٥-١

التنغيم الصوتي وأثره المعنوي في القرآن الكريم
(المفاهيم الأخلاقية لأهل المدينة الخاطئة أُنموذجاً)

(المقالة المحكمة)

أُسامة السهلاني (طالب الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة فردوسي مشهد، إيران)
أحمدرضا حيدريان شهري (أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة فردوسي مشهد، إيران، الكاتب المسؤول) [1]
آمال الحيمر (أستاذة مساعدة للدراسات الأفريقية والأمريكية ومنسقة برنامج اللغة العربية بجامعة كانزاس، أمريكا)

Doi:10.22067/jallv15.i1.2206-1148

الملخص

تمثلت الدراسة في توضيح التنغيم الصوتي في بعض المفاهيم الأخلاقية لأهل المدينة الخاطئة التي وردت في القرآن الكريم بعد التعرف على الفونيم كوحدة صوتية ومعرفة ظهوره وكيفية التعامل معه أمرٌ مهمٌ، لأنّه مرَّ بمراحل حتى وصل إلى مرحلة نضوجه فهو صوت قادر على إيجاد تغيير دلالي، وكما تهدف الدراسة إلى توضيح الفونيم والتنغيم والأهمية المعنوية كونه يفرق بين الجمل ويمنحها دلالات متنوعة من خلال اللفظ عندما يعطي نغمات معينة تنتج من اختلاف الصوت، وتكمن ضرورة البحث في دراسة التنغيم الصوتي وفق المنهج الوصفي التحليلي الذي تناول بعض المفاهيم الخاطئة ودراسة تنغيمها الصوتي مثل: الكفر، القتل، النفاق، الزنا، الرياء، السرقة، التكبّر، من المفردات التي تناولتها الدراسة، ومن الأسئلة التي تطرق إليها البحث التي كانت تدور حول مفهوم الفونيم وأثره في مجال الصوت، هي: ما التنغيم؟ وما أهميته المعنوية لمعرفة دلالات الجمل وكذلك أثره المعنوي ضمن المفاهيم الخاطئة في القرآن الكريم؟ ومن النتائج التي توصلت لها الدراسة بأنّ الفونيم من القضايا المهمة في التفكير اللغوي وله دور معنوي في الحروف أو الحركات، أمّا التنغيم فكان يشكل الأثر الأكبر في تحديد الكثير من الدلالات التي يمكن فهمها من خلاله مثل: التوبيخ والتحذير والتقرير، وكما توصلت الدراسة إلى وظيفة تعبيرية للتنغيم التي تتم من خلال الأحاسيس والانفعالات التي تظهر من خلاله كالحزن والفرح واليأس والأمل وغير ذلك.

الكلمات الدليلية: الفونيم، التنغيم، المظاهر الخاطئة.

تاريخ الوصول: ١٤٠١/٣/٢٣ تاريخ المراجعة: ١٤٠١/٥/١٨ تاريخ القبول: ١٤٠١/٠٧/١١

[1]. الكاتب المسؤول: heidaryan@um.ac.ir

١. المقدمة

يعد الصوت اللغوي من القضايا المهمة في فهم اللغة، فالبحث في هذا المجال يتجه بنا إلى معرفة الأسرار اللغوية ودقائقها في أي لغة من اللغات، وهذه المعرفة تتم من خلال الوقوف على النظريات التي تبحث في الجوانب الصوتية ومدى ارتباطها بالمجالات اللغوية الأخرى، وهدف وغاية جميع النظريات هي الوقوف على المعنى ودقة دلالته، فقد تدلّ على معانٍ تصل بنا إلى الدلالة الحقيقية لأي لفظ يراد معرفته، فالدقة الدلالية مهمة في ظهور المعاني، وعلى الرغم من وجود كثير من الجوانب اللغوية التي لها تأثير في إظهار المعنى، لكن الأثر الصوتي هو اللبنة الأساسية لأي لغة كانت، فمن المهم أن نقف عليه ونتمعن فيما يحدث من إيحاءات تأخذ بأيدينا إلى مفاهيم لغوية من خلالها نتوصل إلى دقائق معرفية مهمة. «لذلك لم يكن حضور الأصوات في النص الشعري على أساس الاعتباطيّة، بل حضورها مرتبط تماماً مع الجو النفسي للقصيدة ونفسيّة الشاعر وله حضورها على الأساس الجمالي والتعبيري وهذا الحضور هو ما ربط بين البنية الصوتية بوصفها الجزء المهم الظاهراتي للنص وبين التأويليّة وتكمن مهمة التأويليّة في الكشف عن الدور الوظيفي والجمالي للأصوات والكشف عن العلاقة القائمة بين الأصوات ونفسيّة الشاعر» (طاهري‌نيا والآخرون، ١٤٠٠: ٩٥).

والصوت له تأثير على المعنى من جانب، وعلى جمالية اللفظ والتذوق به من جانب آخر وهذا ما أشار إليه "الجاحظ" في كتابه "البيان والتبين" حيث يقول: «إنَ الصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً، ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلاّ بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاماً إلاّ بالتقطيع والتأليف» (الجاحظ، ١٩٩٨: ج١/٧٩).

فاللغة العربية يتميز حروفها بقيمة سمعية حيث كل حرف له جانب تنغيمي، فالقيمة السمعية تكمن في ظهور دلالة مهمة في بعض الجمل الإنشائية، فقد تتحول إلى جملٍ خبرية بفضل الصوت، مثلاً الجمل الاستفهامية التي تخرج إلى معانٍ وأغراض دلالية غير الاستفهام، حيث تظهر دلالة أُخرى، كالتعجب والنفي وغيرها، وفيما تقدم يتوقف الأمر على مقدار وشدة الصوت أو ارتفاعه ووضوحه. إضافةً إلى ذلك إنَّ الصوت له قابلية كبيرة في انبعاث المشاعر وتحريك الذائقة الفنية، فالشعر والنثر والسجع وغيرها من الألوان والأغراض الأدبية، وله دور فاعل فيها، فانسيابية الصوت وهندسة نطقها لها أثر على السمع وهذا ما أشار إليه الشاعر بشار بن برد:

أُذْنــي لِـبعـضِ الحــيّ عــاشـقــةٌ والأُذنُ تـعـشـقُ قـبـلَ الـعـيـنِ أحيانا

قد كان قديماً تُحفَظ كثير من المفاهيم العلمية والأدبية قبل ظهور الطباعة وبسبب قلة الكتب فيعتمد الحفظ، فكلما كان ترديدها السماعي خفيفاً عذباً هادئاً، فقد يؤدي إلى حفظها سريعاً، أمّا إذا تعقّد اللفظ وصعب نطقه فقد يتعذّر حفظه سريعاً، والشواهد على هذا كثيرةٌ، كما هو معروف في قصة الأصمعي وقصيدته صوت صفير البلبل... حيث صَعُبَ تكرارها من قبل أحد حاشية الوالي والقصة معروفة وغيرها من الشواهد.

دراسة التنغيم من الجانب المعنوي والوظيفي الذي يؤديه وهو محل دراسة البحث، ضمن المفاهيم الأخلاقية لأهل المدينة الخاطئة في القرآن الكريم وكذلك انصَبّ البحث على أهمية التنغيم ودوره في إظهار المعنى، فله دور مهم في ظهور المعنى والتفريق بين الجمل الإنشائية والجمل الخبرية، وعلى سبيل المثال خروج الاستفهام إلى معانٍ غير الاستفهام، وقد ذكر

الباحثون ما يبيّن ذلك. وقبل دراسة التنغيم سلّط الباحثون الضوء على الفونيم وماهيته والدور الذي يلعبه الفونيم وأهمية اكتشافه بما أنّه أصغر وحدة صوتية، والشواهد التي درسها الباحثون كلها من القرآن الكريم.

١. ١. سابقة البحث

إنَّ كثيراً من الدراسات تناولت الصوت العربي وقد أثْرَت المكتبة اللغوية والقرآنية بالمؤلفات القيمة يمكن لِأي باحث الرجوع والاعتماد عليها، سواء قديماً أو حديثاً، فقد ترك لنا القدماء إرثاً ثقافياً في مجال فهم اللغة والحقائق اللغوية. أمّا المحدثون فدرسوا التنغيم ضمن أثره الصوتي وأثره المعنوي ومن هذه البحوث والدراسات منها:

- "النبر والتنغيم في القرآن الكريم" لـ" بوعسلية اعتدال"
- "التنغيم في اللهجة العربية العراقية" لـ "باسم جبير"
- "دلالة التنغيم في القرآن الكريم، سورة الزمر نموذجا" لـ "الأستاذ: زهر الدين رحماني"
- "أصالة التنغيم في القرآن الكريم" "د: عبد القادر بن فطة"

١. ٢. أهمية البحث

هذا البحث جاء لإثراء الجانب الصوتي، لأن البحوث الصوتية قليلة مقارنة بالجوانب اللغوية الأخرى، ومن جانب آخر، غزارة البحوث لها أهمية في تنمية وتعزيز القدرة اللغوية لدى المتعلمين، فإننا نجد كثيراً من الجامعات العربية وغيرها لم تبدِ اهتماماً للجانب الصوتي إلاّ بعض الشيء في الدراسات العليا.

١. ٣. أسئلة البحث

وتسعى هذه الدراسة إلى الاهتمام بالتنغيم الصوتي ودراسة بعض المفاهيم التي جاءت في القرآن الكريم والأسئلة التي تمَّ طرحها هي:

- ما هو دور وأثر الفونيم في التفكير اللغوي؟
- كيف يكون الأثر المعنوي للتنغيم لمعرفة الجمل؟
- ما أثر التنغيم في المفاهيم الأخلاقية لأهل المدينة الخاطئة في القرآن الكريم؟

١. ٤. منهجية البحث

تناول البحث من خلال المنهج الوصفي - التحليلي دراسة التنغيم في الآيات القرآنية التي تحمل المظاهر الخاطئة عند أهل المدينة الخاطئة، وأهم هذه المظاهر هي الكفر، القتل، النفاق، الرياء، التكبّر، الزنا، السرقة. فدلالة هذه المظاهر ضمن الوظائف التعبيرية للتنغيم كالأحاسيس والانفعالات التي تظهر من خلاله، كالحزن والفرح واليأس والأمل وغير ذلك.

٢. المفاهيم والتعاريف

٢. ١. مفهوم الفونيم

إنّ لظهور الفونيم أهمية كبيرة في تطور الدرس اللغوي ويعتبر اكتشافه من القضايا المهمة لذا يعدّ ثورة في التفكير اللغوي، مع

هذا فقد عارضت "مدرسة لندن" وعلى رأسهم "فيرث" هذه النظرية، لكن اعتراضهم لم يؤثر على النظرية، ويقول أحمد مختار عمر: «يردُّ بعضهم أولى التصورات لنظرية الفونيم إلى ماضٍ سحيق، حيث اهتدى الإنسان إلى الكتابة الألفبائية التي لا ترمز للكلمة ككل ولا للمقطع ككل وإنّما للأصوات التي تشكل الكلمات... فإذا رجعنا إلى الألفبائية السنسكريتية نجدها في جملتها قد أُقيمت على أساس فونيمي، يرمز للوحدات، وليس للتنوعات الصوتية» (عمر، ١٩٩٧: ١٦٦-١٦٧). من خلال ما تقدم أنّ فكرة الفونيم ليست جديدة في اللغات اعتمدت في برامجها الصوتية وتكوين الكلمات على هذا الأساس، كاللغات القديمة مثل اللغة الإغريقية وغيرها.

وأول من استخدم أو اصطلح كلمة «فونيم» كان "دفريج دسجنتز"[١] أثناء اجتماع الجمعية اللغوية الفرنسية في مايو (١٨٧٣)، وثاني من استعمله كان "لويز هافت"[٢] وأول من أعطى للفونيم تحديده الدقيق هو "جان بايدن"[٣]...كما أسهم تلميذه "كروسزسكي"[٤] في التمييز بين الفونيم والفون حيث نشر بحثاً عام (١٨٨٠) وفضّل فيه المصطلح فونيم على الوحدة الصوتية. واقترح في عام (١٨٨١) أن يطلق مصطلح فونيم على الوحدة الصوتية. (المصدر نفسه: ١٦٨-١٦٩). وقد اعتمدت هذه الدراسة على النظريات الحديثة من خلال تحديد مفهوم الفونيم ضمن رأي "كروسزسكي"[٥]حين فضّل مصطلح الفونيم على الوحدة الصوتية.

أُطلقت تعاريف متعددة ومختلفة للفونيم لكنْ الكثير منها يكتنفها الغموض وعدم الوضوح ولا حاجة لذكر تلك التعاريف، ويعتبر عبد العزيز الصيغ تعريف "ترنكا"[٦] أفضل التعاريف، لأنَّه يناسب اللغة العربية، حيث يقول إنّ الفونيم هو: «كل صوت قادر على إيجاد تغيير دلالي» (الصيغ، ١٩٩٨: ٢٢٥).

وعُرِّف أيضاً ضمن هذا القصد بأنَّه «أصغر وحدة صوتية، عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني» (عمر، ١٩٩٧:١٧٩). ومن التعريفات الأُخرى للوحدة الصوتية بأنّها «مجموعة العلامات الصوتية المتميزة، فالباء في اللغة العربية تتميز بأنَّها صوت مجهور، شفوي، اِنفجاري..» (وهبة، ١٩٨٤:٤٣٢).

ومما سبق يتضح لنا أنَّ الفونيم في العربية من الناحية العملية هي الحروف التسعة والعشرون ويضاف إليها الحركات (الفتحة والكسرة والضمة) والياء والواو فعدد الفونيمات في العربية هي أربعة وثلاثون فونيما. يتضح لنا من ذلك أنَّ استبدال الفونيم في الكلمة يحدث تغيراً في المعنى فمثلا الفعل «قال» لو استبدلنا حرف القاف بحرف آخر [ط] يصبح الفعل [طال]، أو النون [نال] وإلى غير ذلك من التغيرات لوجدنا في كل استبدال تغيرا للمعنى ودلالة الكلمة مختلفة.

٢.٢. التنغيم

يعتبر التنغيم من القضايا التي لها دور بارز في ظهور الدلالة أو المعاني المختلفة ضمن الجملة الواحدة، فمن خلال التنغيم نستطيع أن نجد الفرق بين الجمل الاستفهامية والخبرية، ويتم ملاحظة الفرق من انخفاض وارتفاع نغمة الصوت. يعرف التنغيم بأنَّه «إعطاء نغمات معينة تنتج من اختلاف درجة الصوت وتتحدد درجة الصوت وفق عدد الذبذبات التي يولدها الوتران الصوتيان» (قدور، ٢٠٠٨:١٦٦)، وقد فرق بعضُ الدارسين أو الباحثين بين نوعين من اختلاف درجة الصوت وهما: النغمة وهي الأثر الناتج من ازدياد عدد الذبذبات أو انخفاضها على صعيد الكلمة، والتنغيم وهو اجتماع نغمات ضمن مجموعة من الكلمات على صعيد الجملة (المصدر نفسه: ١٦).

والجدير بالذكر هل بالإمكان نسأل متى ظهر التنغيم أول مرة؟ وهل التنغيم كان موجوداً في تراث القدماء، أو ذُكر في دراساتهم وأبحاثهم، مضموناً أو اصطلاحاً، أو كان لهم أثر في ظهوره؟ فقد أجاب عن السؤال رمضان عبد التواب بأنّ التنغيم

لم يرد في تراث القدماء ما عدا ابن جني، حيث قال «لم يعالج أحد من القدماء شيئاً من التنغيم، ولم يعرفوا كُنهه، غير أنَنا لا نعدم عند بعضهم، الإشارة إلى بعض آثاره في الكلام، للدلالة على المعاني المختلفة، وكان لابن جني أحد الذين التفتوا إلى ذلك» (عبد التواب، ١٠٦:١٩٩٧)، ونفهم من ذلك أنّ ظهور التنغيم كان مضموناً وليس مصطلحاً أخذ بالدراسة والتنظير.

للتنغيم أهمية في تحديد الفرق بين الكلام المثبت والكلام المنفي، إذاً للتنغيم «وظيفة نحوية هي تحديد الإثبات والنفي في جملة لم يستعمل فيها أداة الاستفهام... وتختلف طريقة رفع الصوت وخفضه في الإثبات عنها في الاستفهام» (حسّان، ١٦٤:١٩٩٠). ويذكر لنا أحمد مختار عمر، تختص أو تقع التنغيمات على الجمل لا الكلمات فيقول «التنغيمات أو التنوعات التنغيمية هي تتبعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة، أو أجزاء متتابعة، وهو وصف للجمل وأجزاء الجمل، وليس للكلمات المختلفة المنعزلة» (عمر، ٢٢٩:١٩٩٧). من القضايا الدلالية التي تعتمد في وضوح دلالاتها على التنغيم منها جملة النداء عندما تحذف منها أداة النداء فلا دليل على النداء إلاّ التنغيم لأنّ لا سبيل لمعرفة النداء الوارد في الجملة سوى التنغيم كقوله تعالى ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ (آل عمران/٨) والتقدير: يا ربنا فقد حُذف حرف [يا] النداء، فالتنغيم هو الذي كان دليلنا على وجود النداء، وكذلك الأمر مع الاستفهام عندما تُحذف الهمزة من الجملة الاستفهامية والحذف أمر خاص بالهمزة سواء كان الاستفهام حقيقيا أو مجازيا، فالتنغيم هو الذي أرشدنا إلى وجود جملة استفهامية ولولاه لكانت الجملة خبرية.

فقد جاء التنغيم ليؤدي دوراً من خلال حرف الاستفهام المحذوف حتى تحتفظ الجملة بدلالتها الكاملة هذا بالنسبة سواء حُذِفت أداة الاستفهام أو لم تُحذف، وكذلك للتنغيم دور في الدلالة بحيث الاستفهام يفقد دلالته الحقيقية وهي الطلب، ويخرج إلى دلالات أُخرى كالنفي والتعجب وغير ذلك، نحو قوله تعالى ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة/٢٨) فقد خرج الاستفهام إلى معنى التعجب، ومن الأغراض والدلالات الأُخرى النفي كقوله تعالى ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثا﴾ (النساء/٨٧) فاسم الاستفهام خرج إلى معنى النفي والتقدير: لا أحد أصدق من الله.

ومن الدلالات الأخرى للتنغيم غير الاستفهام نحو «الوعد والوعيد والإنذار، والتقريع، والتوبيخ، والتعظيم، والتنبيه، والأخبار، ووصف نعيم الجنان وأهوال النيران وغيرها» (النجار، ٢٣١:٢٠٠٧).

قد حدد تمام حسان قضايا التنغيم في العربية وتحديد الهابط منها والصاعد وهي: (حسّان، ١٩٩٠: ١٦٤)

١-الإيجابي الهابط، ويستعمل في تأكيد الإثبات، وتأكيد الاستفهام بـ(كيف ومتى وبقية الأدوات ما عدا الهمزة وهل). قال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (السجدة/٢٨).

٢- الإيجابي الصاعد، ويستعمل في تأكيد الاستفهام بـ[هل] أو [الهمزة]، كقوله تعالى ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ (هود٢٤). وقوله تعالى ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيرا﴾ (النساء/٨٢).

٣- النسبي الهابط، ويستعمل في الإثبات غير المؤكد كالكلام الجاري في التحية والنداء وتفصيل المعدودات نحو قوله تعالى ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (البقرة/٤٠).

٤- النسبي الصاعد، ويستعمل في الاستفهام بلا أداة [هل] أو [الهمزة]. كقوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الأنبياء /٣٨).

٥- السلبي الهابط، ويستعمل في الكلام الجاري في الأسف والتحسر والتسليم، مع خفض الصوت، كقوله تعالى ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا) (الكهف/٤٢) وقوله تعالى (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون﴾ (يس/٣٠).

٦- السلبي الصاعد، ويستعمل في التمني والعتاب، مع نغمة ثابتة أعلى مما قبلها. كقوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنعام/٢٧). وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (التحريم١).

٣. القسم التحليلي

٣. ١. المفاهيم الأخلاقية لأهل المدينة الخاطئة في القرآن الكريم

٣. ١. ١. الكفر

الكفر من الكلمات التي استعملت اصطلاحياً في القرآن الكريم، أمَّا المعنى الاصطلاحي لهذه الكلمة فيكون الكفر ضد الإيمان بالله سبحانه، أو بنحو آخر فقد أطلقت كلمة الكفر على كل إنسان لا يؤمن بالله، أمَّا المعنى المعجمي لهذه الكلمة أو المعنى الحقيقي الذي ورد في معاجم اللغة فهو الستر والتغطية وهو مأخوذ من «كفر الشيء وكفّره: غطّاهُ، يقال: كَفَرَ السِحاب السماء، وكَفر المتاعَ في الوعاء، وكَفر الليل بظلامهِ وليلٌ كافِر. ولبِس كافِر الدروع وهو ثوب يُلبس فوقها. وكَفرت الريح الرسم، والفلاح الحَبَّ ومنه قيل للزُّرّاع الكفّار» (الزمخشري، ١٩٩٨: ج٢/ ١٤٠).

قال الله تعالى ﴿وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (إبراهيم٩).

في الآية التنغيم إيجابي هابط أو منخفض لأنّ الآية فيها تأكيد للإثبات من خلال (إنّا) ودلالة التنغيم في النص بأنّ قول الكفار موجّه للأنبياء حيث اتصف بالتهكم والاستهزاء بالأنبياء، وقد تأكد كفرهم بحرف التوكيد (إنّ) والفعل الماضي والمعنى ثبت كفرنا بكم.

وقال تعالى ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (آل عمران١٠٦).

والاستفهام (أَكْفَرْتُم) تحقق بالهمزة لكن ليس استفهاماً حقيقياً وإنَّما خرج إلى معنى التعجب، وبهذه الحالة يكون التنغيم إيجابيا صاعدا، وهذا النوع من النغمة غرضه تأكيد الاستفهام بالهمزة وكذلك هل، والمستفهم هنا كأنّه هو المتعجب من فعل هؤلاء الكفار الذين كفروا بعد الإيمان لأنّ الإيمان يكون من خلال قناعة وأدلّة، وهذا ممّا يُتعجب منه.

قال تعالى ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: ٢٨). الاستفهام الوارد في الآية بأداة (كيف) وبهذه الحالة يكون التنغيم بنغمة منخفضة، أي إيجابي هابط، لكن الاستفهام أفاد التعجب، والتعجب نوع نغمته صاعدة أو عالية، حيثُ تحوّلت النغمة المنخفضة إلى نغمة مرتفعة. كذلك فيها دلالة التوبيخ، وأداة الاستفهام ليس بالضرورة تؤدي دلالتها الرئيسية بل تخرج لدلالة أُخرى، وهذا ليس غريباً بالنسبة للاستفهام.

قال تعالى ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المطففين: ٣٦). في الآية حرف الاستفهام (هل) جاء بمعنى (قد) أي: قد ثوّب، فالنغمة عالية أو صاعدة، أي إيجابي صاعد، حيث أخذ التنغيم أثره الدلالي في الآية، لأنّه يؤدي إلى البيان والوضوح والتأكد على تأصيل الكفر فيهم من خلال مجازاتهم يوم القيامة.

قال تعالى ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٥٥). أسلوب الشرط الوارد في الآية يكون بنغمة عالية أو صاعدة، ونعلم أنَّ أسلوب الشرط يتكون من ثلاثة أركان: الأداة، جملة الشرط، وجملة جواب الشرط، لكن عند النطق يكون مقطعين، حيث توجد وقفة أو سكتة بينهما، أي بين جملة الشرط وجوابه، وهذه السكتة تكون بنغمة صاعدة وهي التي تجعله يختلف عن أسلوب الاستفهام ثم مواصلة الكلام، أمّا بالنسبة للفاء الواقعة في جواب الشرط فبوجودها تكون النغمة أكثر قوة، فنجد المدّة الزمنية المستغرقة في الأولى تختلف عن الثانية مما يمنحها أكثر وضوحاً وصفاءً وبياناً.

قال تعالى ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء﴾ (النساء: ٨٩) (ودَّوا) تدل على التمني أي: إنّ المنافقين كانوا يحاولون أن يرجع المؤمنون إلى الكفر وهذه رغبتهم فالآية تدل على التمني، ودلالة التمني يكون التنغيم فيها بنغمة ثابتة حيث يسمى التنغيم بالسلبي الصاعد. السبب في صفة هذه النغمة هو عدم تحقق رغبة المنافقين، أي لضعف الحدث وعدم إمكانية حدوث رجوع المؤمنين إلى الكفر، وكأنَّ محاولاتهم غير ناجحة.

٣. ١ .٢.القتل

الحفاظ على أرواح الناس من الضرورات المهمة في حفظ المجتمع ولا يتحقق هذا الحفظ إلا بوجود الأمن، لأنّ المجتمع إذا انتشر فيه الخوف والاضطراب لا يمكن عدّه آمناً، والقتل وإزهاق الأرواح من العوامل التي تعصف بأمن المجتمع. والأصل اللغوي لهذه المادة كون «القاف والتاء واللام أصلٌ صحيح يدلُّ على إذلال وإماتةٍ» (ابن فارس، ١٩٧٩: ج٥/ ٥٦).

قوله تعالى ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام: ١٥١). التنغيم إيجابي صاعد، لأنّ تأكيد النهي بـ(إلاّ) أي حصول التأكيد يؤدي إلى ارتفاع النغمة وأرشدنا إلى التحذير من القيام بهذا الفعل المنهي عنه من جانب، وتفخيماً لشأنه من جانب آخر، وهذا ناتج من إطالة الصوت. إنّ النهي الوارد في الآية طلب الكّف عن القتل على وجه الاستعلاء، لأنَّه صادرٌ من أعلى إلى أدنى رتبة، أي النهي حقيقي، فقوة اللفظ (النفس) هي عين الأهمّية والقتل أو إزهاق أرواح الناس عدَّها الله من الفواحش والكبائر. سياق الآية يدل على قضية في غاية الأهمية وهو عدم قتل النفس إلّا بارتكاب جريمة تُوجب العقاب، فعبارة (إِلاَّ بِالْحَقِّ) تقودنا لوجود غرض يمنع القتل بأي سبب من الأسباب، أي في حالة الدفاع عن النفس أو العِرض أو الموارد التي أمرنا الله بالدفاع عنها.

قال تعالى ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ (الأنعام: ١٥١).

التنغيم الذي ورد نوعه إيجابي صاعد والسبب إنّ الإبلاغ عن أمرٍ عظيم أو عجيب تكون النغمة مرتفعة، حيث ركّزت الآية على عدم قتْل الأولاد بسبب ما يكون من فقرٍ أو فاقةٍ أو ضيق العيش، وسابقاً يُعرَف عن العرب وأد البنات حيث يدفنونهنَّ أحياءً، فقد نهى الله سبحانه عن ارتكاب مثل هذا الفعل الظالم فقد ارتكزت العبارة على قتل الأولاد لأهمية الأمر وصعوبة ارتكابه كون الأب والأبناء يرتبطون بقضايا روحية ومشاعر ووجدان لا يصح مثل هذا الفعل فالنغمة الحاصلة في الآية غايتها تأكيد النهي والنغمة الصاعدة عادة ترد في الجمل الطلبية التي يكون فيها الطلب ذات أهمية، وسبب الفقر أو العار لا يُوجب ولا يبيح لهم قتل الأولاد. فالآية تُحذّرهم وتمنعهم من القتل.

قال تعالى ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة: ٦١). التنغيم نسبي هابط أي النغمة غير مرتفعة، وهذا يكون في الإثبات غير المؤكد. الآية تحكي فعلا من أفعال بني إسرائيل وهو قتل الأنبياء، حيث استحقوا العذاب بسبب هذا الفعل فالتنغيم أفاد التقرير، أي تقرر عذابهم وغضبَ الله عليهم، لأن قتل الأنبياء تعدي على الرسالة السماوية.

قال تعالى ﴿الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىَ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران: ١٨٣). التنغيم إيجابي هابط أي النغمة منخفضة وهذا النوع من التنغيم غرضه تأكيد الاستفهام إذا كان بأداة استفهام غير (الهمزة وهل) لكن الاستفهام غير حقيقي بل خرج لدلالة أُخرى وهي التوبيخ، لأنَّ التنغيم يميز بين الجمل إذا كانت استفهامية حيث خرج الاستفهام من دلالته الحقيقية إلى دلالة ثانوية أُخرى.

نفهم من الآية أن أهل الكتاب اليهود يصرحون بإيمانهم شريطة أن يأتي الرسول بقربان تأكلهُ النار، أي معجزة، فدلالة الاستفهام (لِمَ) خرجت لمعنى التوبيخ عندما رُدعوا، هنا ظهر أثر التنغيم الدلالي، وعبارة (فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) التي أظهرت كذبَهم ومكرهم.

قال تعالى ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ (النساء: ٩٣). التنغيم في الآية إيجابي صاعد والسبب إنّ أسلوب الشرط عندما ننطق به تكون النغمة مرتفعة، لأنّه يتكون من مقطعين عند النطق فجملة الشرط وجملة الجواب تكون بينهما نغمة مرتفعة، وإذا وُجدت الفاء الواقعة في جوابه تكون النغمة أو التنغيم أثر ارتفاعاً. الأمر الذي حذّر منه الله سبحانه وتعالى قتْل المؤمنين بحالة العمد حيث يكون الجزاء لهم جهنم، والتقرير في الآية كون المتعمد قاصداً لإزهاق الروح فقد توعدهم الله كل من يقتل مؤمناً عمداً. التنغيم في الآية يرشد ويوجّه السامع إلى عظمة وتفخيم الأمر، وفي الآية تهديد لمَن يقتل متعمداً.

ولا ننسى إنّ للسياق دوراً كبيراً في معرفة أساليب التعبير منها التعجب والنفي والتفجّع والتفخيم وغيرها من الدلالات، وبهذه الحالة الاستفهام يخرج من غرضه اللغوي الأصلي إلى أغراض ودلالات أُخرى والشواهد كثيرة، وعلى سبيل المثال

قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾ (الإنسان: ١) فأداة الاستفهام أفادت التقرير وأصبحت بمعنى (قد).

٣. ١. ٣.النفاق

هذا اللفظ من الألفاظ التي استعملها القرآن الكريم ليدل على من يُظهر شيئاً ويخفي خلافه وأُطلق عليه في منظور الإسلام بالمنافق، وقد ركّزت ونبّهت الشريعة الغراء على خطورة من يصدر منه هذا الفعل وعَدّته أخطر من الكافر ذاته. وقد أشار إلى مثل هذا المعنى ابن فارس حيث يقول إنّ «النون والفاء والقاف أصلان صحيحان، يدلُّ أحدهما على انقطاعِ شيءٍ وذَهابه، والآخر على إِخفاءِ شيء وإغماضه» (ابن فارس، ١٩٧٩: ج٥/٤٥٤) أُطلق على المنافق هذه التسمية، أساساً من النفق، تشبيهاً باليربوع. والنفق سَرَب في الأرض له مَخْلَصٌ إلى مكان آخر.

وقوله تعالى ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً﴾ (الفتح: ٦). التنغيم إيجابي هابط، لأنّ عذاب المنافقين قد ثبت، والنغمة الهابطة تصح عند الإبلاغ عن الأمور التقريرية، أي الإخبار عنها من خلال جوّ الآية فعذاب المنافقين واقع لا محالة، لأنّ كل من يظن بالله ظنَّ السوء فهو يخرج من دائرة الرحمة ولا تشمله إلّا إذا تاب وأصلح، فالتنغيم في الآية يكون من خلال لفظة (ويُعَذِّبَ) كما توجد قرائن على تعذيبهم (غضب ـ لعنهم – جهنم) والعذاب الذي استحقوه فهو خاص بما اقترفوه من الكبائر، أي بسبب النفاق والكفر والشرك، أما بالنسبة لتقديم عذاب المنافقين على المشركين فناتج من خطورتهم وخيانتهم لأنّهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر فهم متظاهرون بالإسلام وباطنهم كفر ونفاق وشرك. فالوظيفة التعبيرية للتنغيم لهذه الآية فيها تحذير وتقرير بحيث عندما يسمع المنافقون هذه الآية يصابون بالدهشة فهي تُظهر ما يخفون حتى لا يُعلم.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (التحريم: ٩).

قدّمت الآية جهاد الكفار على المنافقين كون الكفار مُعلنين للعداء على خلاف المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر لكن في العذاب هم متقدمون على الكافرين، لكن الآية شملتهم بالجهاد، لأنّ المسلمين على علم بنفاقهم وهم يوصلون الأخبار فيما يخص القضايا الخاصة بالمسلمين من جيشهم وعدتهم حيث تنكشف أسرار الحرب بالنتيجة يتعرض جيش المسلمين للإبادة. التنغيم أثره في هذه الآية هو التقرير، لأنّ قتال المنافقين حاصل لا رجعة فيه وقد بدأت الآية بكلمة (يعذب).

وقوله تعالى ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ﴾ (آل عمران: ١٦٧). كان الوصف لشخصية المنافق في الآية المراوغة والكذب والخداع من خلال تركهم القتال وخذلان المسلمين في وقت الجهاد. فقد أظهرت الآيات صفات المنافقين منها صفة الإيمان غير الواقعي وهم يومئذٍ أقرب للكفر أو بمنزلة الكفار. والتنغيم في الآية يدل على التوبيخ، لأن المنافقين متذبذبون لايملكون عقيدة يؤمنون بها سوى مصالحهم، ونوع التنغيم في هذه الآية إيجابي هابط، وقد بدأت الآية بأمر من خلال صيغة لام الأمر

مع الفعل المضارع ففيه معنى التوبيخ وفضح ما يبطنون من كره وعدم إيمان وهم أقرب للكفر. ووظيفة التنغيم في الآية إصابة المنافقين بالخوف حيث أُثيرت عندهم مشاعر الهزيمة واليأس.

٣. ١. ٤. الرياء

وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم كثيراً لتدل على الرؤية والإبصار وقال ابن فارس في أصل هذه المفردة «الراء والهمزة والياء أصلٌ يدل على نظرٍ وإبصار بعين أو بصيرة. فالرَّأْي: ما يراه الإنسانُ في الأمر، وجمعه الآراء: رأَى فلانٌ الشيءَ وراءهُ، وهو مقلوب. والرِّئْيُ: ما رأت العين مِن حالٍ حسنة» (ابن فارس، ١٩٧٩: ج٢/ ٤٧٢). الرياء هو من سلوك المنافقين حيث يظهرون غير ما يبطنون في قلوبهم والرياء هو «إظهار العمل للناس ليَرَوْهُ، ويظنوا به خيراً، فالعمل لغير الله، نعوذ بالله منه. وقال الحراليّ: الرِّيَاء: الفِعلُ المقصود به رؤيةُ الخلقِ، غَفْلَةً عن الخالقِ، وَعَمَايَةً عنه» (الزبيدي، ١٩٨٧: ج٣٨/ ١٠٥).

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ (البقرة: ٢٦٤). النغمة في هذه الآية وقعت على (رِئاء) وتكون صاعدة أو عالية، أي إيجابي صاعد، والرِئاء هو على وزن (فِعال) من رأى، وفائدة وغرض هذه الصيغة هي المبالغة والكثرة في الفعل. الكافر أو المنافق يبالغ في إظهار ما يفعله من خيرٍ حتى يرى الناس ويحصل على المدحة والثناء، وهو في الحقيقة لا يؤمن بالله.

قال تعالى ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (الماعون: ٧-١). إنّ آيات السورة كلها ذات نغمات مستوية، لكن الارتفاع يكون في (يُرَاؤُونَ) فالنغمة ترتفع عندها، والتنغيم إيجابي صاعد، وأمر الرياء من الأمور المهمة والخطرة في المجتمع وهي لون من ألوان الخداع، فالله سبحانه وتعالى يريد أن ينبّه عن أمر مهم، أي ينبّه السامع ويُؤثر فيه، وهذا الفعل (يُرَاؤُونَ) «ورد على صيغة المفاعلة ولم يُسمَع منه فعل مجرد، لأنَّه يلازمه تكرير الإرادة... وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله (هُمْ يُرَاؤُونَ) لتقوية الحكم، أي تأكيده» (ابن عاشور، ١٩٨٤: ج٣٠/٥٦٨). فكل ما أكّد فهو مهم، وارتفاع النغمة في مثل هذه الحالات غايتها التنبيه، فالرياء من الآفات الاجتماعية والأهم من ذلك أنّ الإسلام في مراحله الأولى يمّرُ بفترة حرجة وحساسة حيث يتوجّب على المسلم أن يكونَ في غاية الحذر من المتقلبين والمتلونين بلباس الدين. إضافة إنّ الرياء مختزل لكثير من المظاهر السيئة ولهذه الأسباب كان التأكيد والمفاعلة والنغمة المرتفعة الصاعدة من أجل الحذر واليقظة.

٣. ١. ٥. الزنا

يعتبَر الزنا من الخطايا الكبيرة حيث منشؤها الشيطان وهو من الظواهر التي تقضي وتعصف بالمجتمع بعلاقاته الاجتماعية. وتدمر قوام الأسرة، ولهذا الفعل الخاطئ كثير من الضرر على حياة الإنسان وشخصيّته. قال المناوي: الزِّنا لغة: «الرُّقِيُّ على الشيء، وشرعاً: إيلاج الحَشَفَةِ بفرْج مُحَرَّمٍ بعينه، خالٍ عن شُبْهَةٍ، مُشْتَهى» (الزبيدي، ١٩٨٧: ج٢٨/٢٢٥).

قوله تعالى ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾ (الإسراء: ٣٢). التنغيم في الآية إيجابي صاعد والسبب توكيد النهي من خلال حرف التوكيد والضمير العائد على (الزنا) وذُكر كونه فاحشة وجملة الذم أيضاً. (الزِّنَى) نغمة صاعدة والآية

توضح النهي عن الزنا بحيث التقرب من هذا الفعل محّرم، ولهذا الفعل مقدمات فعلى العبد أنْ لا يصل إلى هذه المقدمات التي تصل به إلى الزنا، ولهذا الفعل نتائج غير مريحة تضر المجتمع من اختلال الأنساب وتداخلها، وكذلك هيجان الفتن، والمخاصمة بين أبناء المجتمع الواحد. كما اتصف الفعل بالفاحشة التي هي أقصى القبح. فحدة الصوت وشدته في مثل هذه المواقف تحتاج إلى ارتفاع الغمة.

قال تعالى ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٣). التنغيم إيجابي صاعد ليؤكد حكماً حيث تثبّت وتقرر قوانين حول الزنا، وهي تامة في معناها ومبناها، ونوع النغمة صاعدة والمراد من الآية هو إثبات التوكيد والتقرير من خلال (إلّا) وظاهرةُ الخبر، وتدل الجملة على التحقير والتهكم، ونستطيع القول: إنّ الآية بيّنت منزلة الزاني فهو لا ينكح إلا الزانية، والتفخيم لشأنه.

٣. ١ .٦. السرقة

حافظ الإسلام على النظام العام بما فيه ممتلكات الناس، لأنّ توفر الأمن يُظهر حالة الاستقرار، والحفاظ على أرزاق العباد من السّرِقة ويحفظ قوام الدولة ولا يجعلها عُرْضَة للنهب والسلب وغير ذلك. ويقول ابن فارس: إنّ «السين والراء والقاف أصلٌ يدلُّ على أخذ شيء في خفاء وسِترٍ. يُقال سَرَق يَسْرق سَرِقةً. والمسْروق سَرقٌ» (ابن فارس، ١٩٧٩: ج١٥٤/٣).

قال تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٨). التنغيم إيجابي صاعد، والسارق والسارقة علماء النحو اختلفوا في خبر هذه الجملة منهم مَن قال بحذف الخبر عند سيبويه والتقدير: مما يُتلى عليكم من حكم السارق والسارقة. يقول المبرّد إنّ الخبر هو (فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا) وغاية الفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط، والتقدير عنده: والذي سرق والتي سرقت، والموصول إذا أُريد منه التعميم ينزل منزلة الشرط (ابن عاشور، ١٩٨٤: ج١٩٠/٥). والمبرّد من خلال ما اتصفت به الألفاظ (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ) من ارتفاع صوتي استطاع أن يقدر الموصول الذي فيه معنى الشرط. إذاً فكان للتنغيم دورٌ ساعد في تقدير المحذوف، والأمر في جملة (فَاقْطَعُواْ) إضافة إلى السياق. نستطيع القول بالنسبة لذكر السارق والسارقة معاً، والسبب يعود إلى أنّ العرب لا يقيمون وزناً للمرأة، والحكم يشمل الرجل والمرأة.

قال تعالى ﴿إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ (الحجر:١٨). السرقة في الآية لا تعني سرقة شيء مادي وإنّما تستمع بخفية دون علم المتكلّم أو المتحدث، كأنَّه يسرق من المتكلّم كلامه الذي يريد إخفاءَهُ، والهمزة في (اسْتَرَقَ) زائدة، وصيغة افتعال غرضها ودلالتها على التكلف. التنغيم في هذه الآية إيجابي صاعد، والتنغيم أفاد التقرير أي: كل من يستمع أو يسترق السمع يكون له شهاب. نعلم أنّ أسلوب الشرط له ركنان جملة الشرط وجوابه، لكن لم تتوفر وإنّما كان تقدير الشرط حسب رأي المبرد بأنّ الموصول إذا دلَّ على العموم يفيد الشرط. ولا ننسى بأنّ للتنغيم وظائف نحوية تُعتبر من أساسيات التنغيم «ويُعتبر العامل الفاعل في التمييز والتفريق بين أنماط التراكيب وأجناسها باعتمادها على هذه الوظيفة يكون من السهل على الباحث أو الدارس تحليل مادته تحليلاً علمياً دقيقاً» (اعتدال، ٢٠١٤: ٨٠).

٣ .١ .٧.التكبّر

لفظة الكبر لم تكن قبيحة أو خاطئة بحدِّ ذاتها، فهي لها دلالات متنوعة منها التكبّر التي هي المذمومة والقبيحة، وقال ابن فارس إنّ «الكاف والباء والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على خلاف الصِّغْر. يقال: هو كَبيرٌ، وكُبَار، وكُبَّار» (ابن فارس، ١٩٧٩: ج١٥٤/٥).

في قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا﴾ (الأنعام: ١٢٣). التنغيم اتصف بالنسبي الهابط كون الإثبات غير مؤكد. (أَكَابِرَ) هم الملوك المتكبرين كما بيّنه سياق الآية، وصِفَة التكبّر بأنّ الإنسان يرى نفسه أكبر من غيره والتكبّر صفة مذمومة ومن لوازمها العُجُب بالنفس والتفاخر وإلى آخره، والآية تقول إنّ لكل قرية متكبرا مجرما وهذا إيجاز لم يُذكر ويُفصّل نوع المجرمين بأنّ لهم أتباعا وأولياء وشياطين فاختزلت كل هذه المعاني المطلوبة من الحديث أي كلُّ مَن يصدر أو يأمر وله القدرة على فرض الشرك والكفر أو المنكر حتى يحصل المكر، فالسامع يفهم من خلال التنغيم في (أَكَابِرَ مُجْرِمِيها) كون المتكبّر الذي يجحد مجرميها ويكفُر ويبطش ويتسلّط على رِقاب العباد، ومن وظائف التنغيم الانفعال والتأثير بالإنسان من خلال الأحاسيس والانفعالات التي تختلج النفس، وتظهر مظاهر السلب كالحزن والغضب واليأس، أو مظاهر إيجابية كالفرح والسرور والأمل والشجاعة والتعجب والدهشة وغير ذلك.

قال تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٤).

عندما نسمع لفظة إبليس يتبادر لنا شعور سلبي اتجاه إبليس كونه لم يمتثل لأوامر الله وعدم الامتثال نابع من تكبره، والآية وضحت عدم سجود إبليس لآدم ولفظة (أبى) تدل على امتناعه وهذا الامتناع ساقه إلى التكبّر الذي عُبّر بلفظ (اسْتَكْبَرَ) أي والهمزة هنا زائدة والسين والتاء للمبالغة في الأمر بحيث كان شديد التكبر متطلباً ومتكلفاً وكأنّه هيأ نفسه للتكبر والرفض وعدم الامتثال لله سبحانه. التنغيم إيجابي هابط، لأن الآية تُخبر عن تكبر إبليس والنغمة الهابطة غرضها الإخبار.

قال تعالى ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (غافر: ٣٥).

التنغيم إيجابي صاعد، والنغمة الصاعدة تحدث في الأمور التي فيها تهديد، وسياق الآية يتجه إلى أفعال المتكبّر وهي الجحود والكفر والشرك وعدم الطاعة لله ولرسوله فكل ما تقدم سببه تكبّر الإنسان بحيث يصبح الكفر والشرك، والمتكبر أي ذو الكبر المبالغ في صفة، ووصف القلب بهذا الوصف كونه محل الإدراك، والتنغيم أفصحَ عن التحذير أو الوعيد، لأنَّ كل من يجادل في آيات الله بغير علمٍ ولا حجة ولا برهان إنّما يجادل ويكابر فقط.

النتيجة

١- إن الفونيم من القضايا المهمة، حيث يُعد اكتشافه انتقالة مهمة في المجال الصوتي، وبعض اللغات قامت على أساس فونيمي يرمز إلى الوحدات الصوتية المتنوعة، وللفونيم في العربية دور في تحديد المعنى عندما تتغير الحركة الإعرابية يتغير المعنى.

٢- التنغيم أثره إظهار المعنى وهو موسيقى الكلام، من خلال التمييز بين الكلام المنفي والمثبت، أي إن النفي يتحقق من خلال الاستفهام المجازي حيث لا يتم بواسطة أداة للنفي وإنّما من أداة الاستفهام التي تخرج إلى معنى النفي، أما بالنسبة إلى وجوده فهو لم يرد في تراث الأقدمين ما عدا ابن جني ذكره، لكن ورد في أبحاث ودراسات القدماء مضموناً لا اصطلاحاً، وقد قسم المحدثون التنغيم بحيث أصبح لكل نوع يعطي دلالة معينة. النتيجة إنَّ التنغيم يلعب دوراً هاماً في تحديد الدلالة من جانب، وله الأثر الكبير في علم الصوت من جانب آخر.

٣- ورد التنغيم في الآيات القرآنية ضمن المظاهر الخاطئة حيث أفادَ في إظهار دلالة التفخيم والتحذير والتوبيخ والتقرير من خلال وظيفة التنغيم التعبيرية التي تظهر من الأحاسيس والمشاعر الوجدانية كالحزن والفرح والأمل واليأس والدهشة والتعجب وغيرها. كما له وظيفة نحوية.

الهوامش

١. Defrich - Desgenettes.

٢. Louis Havet.

٣. Jan Baudouin.

٤. Kruszewski.

٥. Kruszewski.

٦. Trnka (1895- 1984).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤). **التحرير والتنوير**، تونس: الدار التونسية للنشر.

٢. ابن فارس، أبي الحسين أحمد. (١٩٧٩). **معجم مقاييس اللغة**، بيروت:دار الفكر.

٣. اعتدال، بوعسلية. (٢٠١٥). **النبر والتنغيم في القرآن الكريم**، الجمهورية الجزائرية: جامعة محمد الصديق.

٤. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (١٩٩٨). **البيان والتبين**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط٧، القاهرة: مطبعة الخانجي.

٥. حسّان، تمام. (١٩٩٠). **مناهج البحث اللغوي**، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.

٦. الزبيدي، سيد محمد مرتضى. (١٩٨٧). **تاج العروس من جواهر القاموس**، ط٢، الكويت: التراث العربي.

٧. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. (١٩٩٨). **أساس البلاغة**، ط١، بيروت:دارالكتب العلمية بيروت.

٨. الصايغ، عبدالعزيز. (١٩٩٨). **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ط١، دمشق: دار الفكر.

٩. عبد التواب، رمضان. (١٩٩٧). **المدخل إلى علم اللغة**، ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي.

١٠. عمر، أحمد مختار. (١٩٩٧). **دراسة الصوت اللغوي**، القاهرة: عالم الكتب.

١١. قدور، أحمد. (٢٠٠٨). **مبادئ اللسانيات**، دمشق: دار الفكر.

١٢. النجار، أحمد. (٢٠٠٧). **الدلالة الصوتية في القرآن الكريم**، د.م، د.ن.

١٣. وهبه، مجدي. (١٩٨٤). **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، ط٢، لبنان: مكتبة لبنان.

١٤. طاهري نيا، علي باقر. حسين الياسي وفاطمة أعرجي. (١٤٠٠). «من قراءة السطوح إلى قراءة دلالات الأعماق؛ مقاربة تأويلية لقصيدة أغنية الممالك الضائعة». اللغة العربية وآدابها.السنة الثالثة عشرة. العدد١. صص٨٩-١٠٨.

Doi:10.22067/jallv13.i1.76832

References

The Holy Quran.

Abdel-Tawab, R. (1997). *Introduction to Linguistics*, 3rd, Cairo: Al-Khanji Library. [in Arabic]

Al-Jahiz, A.O.A.B. (1998). *Al-Bayan and Al-Tabeen*, achieved by: Abd Al-Salam Muhammad Haroun, 7th edition, Cairo: Al-Khanji Press.[in Arabic]

Al-Najjar, A. (2007). *The phonetic significance of the Holy Qur'an*,(n.p).[in Arabic]

Al-Sayegh, A.A. (1998). *Phonetic terminology in Arabic studies*, Damascus: Dar Al-Fikr.[in Arabic]

Al-Zamakhshari, A.Q.M.A.A. (1998). *The Foundation of Rhetoric*, 1st edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut. [In Arabic]

Etidal, B. (2015). *Stress and intonation in the Holy Qur'an, Republic of Algeria*: Muhammad ,Al-Siddiq University. [In Arabic]

Hassan, T. (1990). *Linguistic Research Methods*, Egypt: Anglo-Egyptian Library.[in Arabic]

Ibn Ashour, M, A, T. (1984). *Liberation and Enlightenment*, Tunisia: Tunisian Publishing House. [In Arabic]

Ibn Faris, A, H, A. (1979). *Dictionary of language standards*, Beirut: Dar Al-Fikr. [In Arabic]

Kadour, A. (1999). *Introduction to Arabic Philology*, Damascus: Dar Al-Fikr. [in Arabic]

Omar Mukhtar, A. (1997). *Linguistic sound study*, Cairo: The world of books. [in Arabic]

Taheriniya A,& Elyasi,H& Eraji,F. (2020) Beyond the Surface Structure and Giving a Deep Interpretation of Poem: An Interpretative Reading of the Ode "The Song of Lost Homelan, *Journal of Arabic Language & Literature*,13(1).89-108. [In Arabic] Doi:10.22067/jallv13.i1.76832

Wehbe, M. (1984). *A Dictionary of Arabic Terms in Language and Literature*, 2nd Edition, Lebanon: Library of Lebanon[.in Arabic]

Zubaidi, M. M. (1987). *Taj Al-Arous from Jawaher Al-Qamoos*, 2nd edition, Kuwait: Arab Heritage. [In Arabic]

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی